بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير جزء عمَّ

د. محمد الخضيري

الدرس (5)

تفسير سورة الانفطار وبداية سورة المطففين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله، والصلاة واسلام على رسول الله وآله وصحبه ومَن والاه.

مشاهديَّ الكرام، وإخواني الحضور في هذه القاعة المباركة: نحن اليوم في الدرس الخامس من دورس التفسير لجزء عم، وقد وصلنا إلى سورة الانفطار، هذه السورة العظيمة التي جاءت في هذا الجزء لتبيِّن مجالًا من مجالات الاعتقاد العظيمة، وهو ما يتصل باليوم الآخر.

لكن دعونا قبل ذلك نسأل هذه الأسئلة التي بين أيدينا، نفتتح بها السورة الكريمة.

قبل ذلك نريد أن نبيِّن أننا في هذا اليوم سنأخذ سورة الانفطار ومقدمة سورة المطففين، تعرفون أن سور جزء عم منها ما هو قصير -أي قليل الآيات- ومنها ما هو طويل، ولذلك قد نأخذ في الدرس أحيانًا سورتين، أو سورة ونصف، بحسب ما يتيسر، لكن في الغالب لن نزيد على صفحة واحدة، لأن عندنا بحمد الله -عز وجل- عشرين درسًا سنقدمها في جزء عم بعدد الصفحات إلا قليلًا.

إخواني الكرام، هذه السورة وغيرها من السور سنأخذ فيها ما يسمى بعلوم السورة.

علوم السورة: الحديث عن السورة عامة----، اسمها، نزولها،---- عدد آياتها،----- موضوعها-----، مقاطعها،

مناسبة أولها لآخرها،------ مناسبتها لما قبلها،-- **يعني هذا يسمى عند العلماء: علوم السورة.**

أيضًا من ضمن ذلك: سبب نزولها -----إن كان فيها سبب نزول-،---- فضائلها، وهلمَّ جرًّا.

وهذه تعين الإنسان على فهم ما هو محتوى هذه السورة التي يرد أن يقرأها، -----والتي يريد أن يستفيد من عظاتها وعبرها.

دعونا اليوم ننظر إلى سورة الانفطار---

، هل هي سورة مكيَّة أو مدنية؟ ما رأيكم؟

{هي سورة مكية}.----كيف عرفت ذلك.**{الارتباط مع السورة التي قبلها، والموضوع يتكلم عن أحوال يوم القيامة}.**

، إذن لأنها تتحدث في ضمن موضوعات وقضايا السور المكية، نحن عرفنا أنها سورة مكية.

وبالفعل العلماء قالوا: هي سورة مكية بالإجماع، لم يقع فيها خلاف.

ما اسم هذه السورة؟------{سورة الانفطار}.

سورة الانفطار، ولا يُعرَف لها اسم غير هذا، **فالبخاري -رحمه الله- في صحيحه قال: "سورة {إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ}"، بأول آية من آياتها.**

وبعضهم يقول: **سورة الانفطار**.----------وهناك مَن قال: **سورة المنفطرة.**

وعلى كلٍّ يعني هذا الاسم واشتقاقاته هو الذي عُرفت به هذه السورة، ولم تُعرف باسم آخر.-------

. **هنا سؤال: ما هو موضوع هذه السورة؟ هل بالإمكان لو قرانا السورة ونظرنا فيها أن نعرف ما هو موضوعها؟**

يقول الله -عز وجل: {إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ (1) وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ (2) وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ (3) وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ (4) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ (5) يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (6) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (7) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ (8) كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ (9) وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (10) كِرَامًا كَاتِبِينَ (11) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (12) إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (13) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (14) يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ (15) وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ (16) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (17) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (18) يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ (19)} [سورة الانفطار].

عندما قرأنا هذه السورة، في نظركم ما هو موضوعها الذي تدور عليها آيات هذه السورة ومقاطعها؟

{الذي ظهر من السورة أنها تتحدث عن مشاهد يوم القيامة، ومشاهد حساب الإنسان}----إذن:

هي تتحدث عن مشاهد يوم القيامة، لكن ليس بالإطناب المذكور في سورة التكوير--------، وذلك لأن سورة التكوير تقدَّمت،------ فجاء فيها من المشاهد ما هو أكثر، -----وهنا انتقلت من جملة من المشاهد ذُكرَت في مقدمة السورة إلى ----عتاب الإنسان.

في تلك السورة قال: {إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ * وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ} [التكوير 1-3]، إلى آخره.

ثم ختم تلك المشاهد بآية واحدة: {عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ} [التكوير: 14].

1---في هذه السورة لا، زاد في عتاب ابن آدم ومحاسبته وتبكيته على تفريطه في الاستعداد لذلك اليوم المهول، فقال الله -عز وجل: {يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (6) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (7) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ (8)}.

2--ثم بيَّن أن الذي حمله على الاغترار بالدنيا، وعدم العمل للآخرة هو كونه كذَّب بالدين، قال: {كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ}.

3---ثم بيَّن أنه كيف يمكن التكذيب بالدين والله -سبحانه وتعالى- قد جعل لنا كرامًا كاتبين، يعلمون مانفعل، لماذا هذا الإحصاء؟ ولماذا هذا التدقيق؟ ولماذا هذا الاستعداد التام؟ ----إن لكم جزاءً ستلقونه عند ربكم -سبحانه وتعالى.

4---ولذلك بعدها جاء الجزاء {إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (13) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (14) يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ (15) وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ (16) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (17) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (18) يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ (19)}.

5--ويُلاحظ في جو هذه السورة العظيمة أن المراد بها ذكر مشاهد يوم القيامة،---- وتبكيت الإنسان على عدم الاستعداد لذلك اليوم كيف

أن التهديد كان أكثر حيِّزًا من الترغيب والوعد،---- يعني الوعيد أكثر.

قال: {إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ}، ثم قال: {وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ}، ماذا؟ {يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ (15) وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ (16) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (17) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (18) يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ (19)}.

.. هل ورد في فضيلة هذه السورة شيء؟

---------- لعلكم تذكرون في سورة التكوير أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال:

(**من سرَّه أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين؛ فليقرأ: {إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ}، {إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ}، و{إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ})، فذكر ثلاث سور تصور لك يوم القيامة تصويرًا بالغًا، وتبيِّن لك مدى الهول الذي سيلقاه الناس، وستلقاه الخلائق في هذا اليوم.**

إذن هذا في فضيلة هذه السورة وبيان ما تتميز به عن بقية السور.----**وأيضًا ورد في فضيلتها**:

أن معاذ بن جبل حصلت له قصة، وهو أنه كان يطيل على الناس في صلاة العشاء، كان يصلي في قومه فيطيل عليهم في صلاة العشاء.

فحصل ذات يوم أن رجلًا من القوم لما كان معاذ يقرأ بهم سورة البقرة، وكان شاب متحمس -رضي الله تعالى عنه وأرضاه- انفتل وصلى وحده، ثم ذهب إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- وقال له: يا رسول الله، إن معاذًا يأتي ويصلي معك، ثم يأتي إلينا ويصلي بنا فيطوِّل، فغضب النبي -صلى الله عليه وسلم- غضبًا شديدًا،

وقال لمعاذ يخاطبه: (أفتَّان أنت يا معاذ؟) يعني أتفتن الناس في دينهم وتبغِّض لهم شعائر الإسلام؟

ثم قال له: (اقرأ بهم بـ{وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا}، {وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى})، وفي رواية: ({إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ})، فذكر الانفطار، وهذا موجود في سنن النسائي، والحديث أصله في الصحيحين.

..سؤال-- ما هو الرابط بين أول السورة وآخرها؟ ------الحقيقة لفت أنظار ------**سيد قطب -رحمه الله- إلى رابط عجيب جدًّا، فقال: "أولها:---- هولٌ وحراكٌ واضطرابٌ،---- وآخرها:صمتٌ ومهابةٌ وسكونٌ. وبينهما: لومٌ وعتابٌ".**

فانظر، يصور لك مشاهد ضخمة، حركة مضطربة، هول جارف في أول السورة.

وفي آخرها: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (17) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (18) يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ (19)}، فهناك **حركة واضطراب، وهنا سكون، ومهابة، وهدوء، وصمت مفزع.**

وبينهما: عتاب لهذا الإنسان، يُقال له: {يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (6) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (7) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ (8)}، ------إلى آخر ما هنالك من العتاب الذي يُعاتب به ابن آدم.

سؤال ما هو ارتبط هذه السورة بما قبلها؟----------

مَن يمكن أن يحدثني عن الرابط بين هذه السورة والسورة التي قبلها؟ تفضل

{سورة التكوير كان موضوعها حول مشاهد يوم القيامة---------، فالرابط واضح وبيِّن لأنه تتابع،------- موضوعات متتابعة ومتتالية ومتناسبة ومتناسقة فيما بينها،---------- يبدو أنها طبعًا سور مكيَّة،---------- طبعا قريش كانت تحتاج مَن يُذكرهم ويرسخ الإيمان في قلوبهم بكثرة ترداد هذه المشاهد، فمن باب التخويف والترغيب}.

إذن في سورة التكوير حديث عن مشاهد يوم القيامة--------، في هذه السورة حديث عن مشاهد يوم القيامة،--- لكن في سوة التكوير كان الحديث عن مشاهد يوم القيامة مسهبًا طويلًا والمشاهد كثيرة

، في هذه السورة أقل، والانتقال منها إلى الغاية وهي تخويف الإنسان،----- عتابه، تحريك قلبه،------ لومه على تقصيره في حق ربه -سبحانه وتعالى-، **لماذا لا تستعد لهذا اليوم؟ لماذا لا تأخذ أهبتك من العمل الصالح؟ لماذا لا تكون من الأبرار؟ إياك أن كون من الفجار.**

. في العادة نحن لا نبحث عن ارتباط السورة بما بعدها، لأنه في كل سورة نحن نبحث عن ارتباط السورة بما قبلها،--- وبهذا تلتئم سور القرآن الكريم.. ننتقل بعد هذا يا إخواني إلى آيات هذه السورة الكريمة.

يقول الله -عز وجل: {إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ}،------ **ما معنى انفطرت؟ السماء طبعًا معروفة لا يحتاج إلى أن نعرفها.**

ما معنى انفطرت؟ تفضل..

{انفطرت: انشقت} نعم، **انفطرت: انشقت.**

الانفطار، يقول العلماء----: هو أول الانشقاق، ينفطر الشيء، ثم ما يزال يزداد حتى يتضح الانشقاق، ولذلك جاء في هذه السورة {إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ}، وجاء في سورة الانشقاق: {إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ} [الإنشقاق: 1]، وجاء في سورة التكوير: {وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ} [التكوير: 11].

فالذي يظهر -والله أعلم- أن ترتيب هذه الآيات كالتالي: **انفطار----، فانشقاق،------- فكشط.**

والكشط: هو السلخ والذهاب أو الطي، بحيث -كما قال الله عز وجل: { يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِّلْكُتُبِ} [الأنبياء: 104].

هذا هو المشد الأول -----سؤال. طيب لماذا بُدِء بهذا المشهد؟

-------- لأن السماء في نظرنا الآن هي أكبر المخلوقات،------فنحن لا نر من مخلوقات الله شيئًا أعظم من هذه السماء، وليس هذا حديث عن مخلوقات الله كلها، لكن في نظرنا نحن الآن لا نرى شيئًا أكبر من السماء التي هي قبَّة مشتملة على كل ما في هذا الكون المرئي المبصَر.

قال الله بعدها: {وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ}، انتقل من عالم علويٍّ إلى عالمٍ علويٍّ آخر ولكنه أدنى منه، وهو الكواكب، والمقصود بها نجوم السماء.

قال: {انتَثَرَتْ}--- انتثرت بمعنى ماذا؟ تفضل يا شيخ.

{انتثرت بمعنى: تتساقط}.

نعم، تساقطت، وهذا ما جاء في سورة التكوير، قال: {إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ} [التكوير 1، 2].

قلنا "انكدرت" يمعنى: تساقطت وانتثرت، وتفسره هذه الآية.

وانكدرت:---- من الكدرة، أظلمت وانطفأت.----وهي إذا تساقطت لا شك أنها سينتج من ذلك ويلزم منه أنها ستنطفئ.

قال الله -عز وجل: {وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ}،

"فجرت" بمعنى: ----انفجر بعضها على بعض،

1-- **بعض السلف عبَّر عن هذا بقوله: املأت.---------**

2----**وبعضهم قال: انفجر بعضها على بعض.**--نلاحظ أن هذا يلزم من هذا، فإذا هي امتلأت انفجر بعضها على بعض،-- فهذه الحدود التي تحدُّ البحار في الكرة الأرضية ستتلاشى وتذهب.

3---**بعضهم قال: انفجرت بمعنى يبست، وهذا بعيد في اللغة، لكنه من حيث المآل صحيح،**----لأنها ستمتلئ فيتفجر بعضها على بعض، ثم تسجَّر بنار عظيمة من تحتها فتيبس ولا يبقى لها وجود.

قال الله -عز وجل: {وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ}، القبور التي هي مأوى الناس إذا ماتوا.

{بُعْثِرَتْ} ما معناها؟ بعثرت أي أثيرت وبُحثت،

وأخرج مَن فيها، فكل مَن في هذه القبور من الاجساد التي دخلت فيها ستخرج بهذه البعثرة.

قال الله -عز وجل: {عَلِمَتْ}، هذا جواب **"إذا"**، يعني إذا السماء، وإذا الكواكب، وإذا البحار، وإذا القبور، في تلك اللحظة كل نفس تعلم اذا معها من العمل، مذا قدَّمت وماذا أخرت.

{عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ}، لعلنا نأتي إلى موطن الآية.---{عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ}، وقوله {عَلِمَتْ نَفْسٌ}،

أي نفس؟ نفس صالحة؟ نفس فاسدة؟ مؤمنة؟ كافرة؟ ----كل النفوس. {عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ}،

طيب ما معنى {نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ}، هل المقصود ما قدمته في أول عمرها وما أخرته في آخر عمرها؟ يعني كل ذلك في حياتها؟

أو المقصود: علمت نفس ما قدمت في حياتها----------، وما أخرت بعد مماتها مما يكون من عملها؟

لأن عمل الإنسان قسمان:

1--- قسم يكون في حياة الإنسان.

2---- وقسم يكون بعد موته، مثل الصدقة الجارية، والعلم الذي يُنتفع به. فهذا مما أخره الإنسان بعد موته.

فالآية متظمة لهذا، ومنتظمة لذاك،------ والمقصود منها: علم الإنسان بعمله كله،----- أوله وآخره، ما كان في حياته وما كان بعد موته.

وهذه الآية نأخذ منها: **أن الإنسان ينبغي كما يقدم عملًا صالحًا أن يؤخر أيضًا عملًا صالحًا**، كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم: **(إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم يُنتفع به، أو ولد صالح يدعو له)**

، نسأل الله -سبحانه وتعالى- بمنِّه وكرمه أن يجمعها لنا.

قال الله -عز وجل: {عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ (5) يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (6)}، قوله {الْإِنْسَانُ} **تحدَّثنا عنه في سورة** عبس، قَالَ تَعَالَى: {قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ} [عبس: 17]، وأنها ترد كثيرًا في السور المكية ويُراد بها الإنسان الكافر.

والسؤال هنا يُحدد أن المراد به الإنسان الكافر، لأنه قوله {مَا غَرَّكَ} جعلك تغتر، فتقصر في حق ربك، ولا تقوم بما اوجب عليك من الإيمان والطاعة؛ هذا لا يليق إلا بالإنسان الكافر. ----ولذلك {يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ} ما الذي غرك بربك الكريم.

قوله { الْكَرِيمِ}، قوله {بِرَبِّكَ} لمزيد العتاب والذم لهذا الإنسان الذي اغتر بحياته وما أوتيه في الدنيا، وترك طاعة ربه والإيمان به وبآياته ورسله، وليست لإعطائه الحجة على الله -سبحانه وتعالى- كما يقول بعض المتأولين.

فقول: {يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ}، الذي خلقك، ربَّاك---، سوَّاك، أعطاك،-- أنعم عليك،حفَّك بربوبيته، أكرمك، {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا} [الإسراء: 70] هذاهوربك الذي له النعمةالكاملة عليك.

ولذلك ما قالك "ما غرك بالله" ما جاء بلفظ الألوهية، وإنما جاء بلفظ الربوبية ليبيِّن كيف كان الرب رحيمًا، عطوفًا، كريمًا مع هذا الإنسان، لئلا يبقى له حجة على الله..

ثم عطف عليه قوله {بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ}، **-----وصفه بالكرم، لنه قد أعطى ابن آدم عطاءً واسعًا وكثيرًا ومجزيًا،----** ولا يمكن للإنسان أن يكفر أو يُنكر هذه النعمة، ولكن الإنسان بطبعه الكفور الظلوم يجحد هذه النعم، ويستعمل ما آتاه الله من نعمه في معصيته -والعياذ بالله.

ولذلك هذه جاءت "ربك" و"الكريم" لإقامة الحجة على الإنسان وإلجامه، كيف ربك أكرمك؟

هل قصَّر عليك؟ هل لم يُرسل لك الرسل، ولم يعطك الوسائل التي تتعرف بها على الحق من الباطل؟

هل هناك شيء تحتجُّ به على الله؟ تقول: ما بان ليَ الحق، ما ظهر ليَ امراد، ما أرسلت ليَ الرسل، ما أنزلتَ عليَّ الكتب، ما أوضحت لي المراد، لم تجعل لي عينين، لم تجعل لي أذنين،لم تجعل لي لسانًا وشفتين؟ ----أبدًا؛ كل ذلك ليس من حقك أن تقوله لله -عز وجل- لأنه ربَّاك وأكرمك. إذن فما هي حجَّتك؟!

قال الله -عز وجل: {يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (6) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (7)}،

خلقك بمعنى أنشأك وأوجدك من العدم.

سوَّاك: جعلك مستويًا، مستويًا، يعني كل جزء منك لجزائك يؤدي عملًا معيَّنًا وباستواء.

{عَدَلَكَ} أو {فَعَدَلَكَ}، **قراءتان معتبرتان، لكن** {عَدَلَكَ} **أكثر مبالغة من** {عَدَلَكَ}، ------جعلك معتدلًا في كل شيء، تجد للإنسان عينين إحدهما في اليمين، -----والثانية في اليسار. يدين، إحدهما هنا،----- والثانية في نفس المكان من الشق الآخر. ولم يجعل مشوَّشًا بمعنى أن يدًا في الجنب، ويدًا في الظهر مثلًا، أو عينًا في الأمام، وعينً في الجنب، أو رجلًا في الرأس، أو رأسًا في الرِّجل أو في القدم، أو في الركبة؛ لا. جعلك أيضًا معتدلَ الخِلقَة قائمًا مستويًا على خلاف ما هو حال مثلًا هذه البهائم التي سخرها الله لك، فإن الله لم يجعلها كذلك، لك يجعلها مستوية ولا معتدلة. وهذا كله من إقامة الحجة على ابن آدم.

قال الله -عز وجل: {فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ}، أي جعلك في صورة هو شاءها، هذه الصورة هي أجمل الصور وأحسنها، وليس لك من أمر صورتك شيء، يعني لستَ أنتَ الذي تصنع هذه الصورة، فلو وُكِلَ ابن آدم أن يصنع صورة لصنعها على وجه واحد، وصرنا لا نفرق بين محمد ولا سعيد، ولا رياض، ولا حكمت، ولا غيرهم.صاروا كلهم شيئًا واحدًا.

فالله -عز وجل- من رحمته، ومن حكمته أن جعل التصوير إليه، ولم يجعله لأحد، ولذلك يخلقنا في أي صورة هو يشاؤها -سبحانه وتعالى- مرة تشبه خالك، ومرة تشبه عمَّك، ومرة تشبه أباك، ومرة تشبه أمك، ومرة يكون الشبه إلى جنس أخوالك، أو جنس أعمامك، وهكذا.

قال الله -عز وجل: {فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ}، ثم لمَّا ذكَّر بالنعم،------ وعاتب الإنسان على معصيته، وعدم قيامه بطاعة ربه، واستعداده للقاء الله -عز وجل- قال: {كَلَّا} ردع وزجر لهذا الإنسان الذي اغتر وترك الاستعداد للقاء الله، والاستعداد لذلك اليوم المهول العظيم.

{بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ}، ما أشغلكم ولا غرَّكم،------ ولا جعلكم تنسون لقاء الله إلا تكذيبكم بيوم الدين، فلو أنكم صدقتم به وعرفتم أنكم ستلاقون الله لعلمتم حقًّا، أولفعلتم حقًّا ما يجب عليكم فعله من الإيمان والطاعة.

والدين: هو الجزاء والحساب.----- {كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ}، أي تكذبون بالجزاء والحساب.

{وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ}، **هنا يعود المقام إلى تذكير العبد بانه تحت رقبة الله،وأن الله ما خلقه عبثًا**، ولا جعله هملًا،

ولم يتركه **سدًى**؛بل خلقه في حالة تدل على أنه متابَع ومراقَب ليستعدَّ للقاءٍ آخر يُجازَى على كل شيء، ويُحاسَب على كلِّ صغيرة وكبيرة.

فقال: {وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ}، وأكّد هذا الأمر لأنه يتحدث مع من ينكرونه، وهم الكفار -كفار مكة.

قال: {وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ}، لاحظ المؤكدات في هذه الآية ثلاثة:

1----الأولى: "إنَّ" مؤكدة.

2---"لحافظين": اللام الدَّلة على التوكيد.

3---وأيضًا الجملة الاسمية وهي أيضًا مما يُؤكَّدُ به اللام.

من هم هؤلاء الحافظون؟ هم الملائكة يحفظون على الإنسان كل عملٍ من أعماله،------- وليس المقصود هنا بالحفظ بالمناسبة هو الحفظ من وقوع المقدور.لماذا؟ لأن الآيات دالَّة هنا على معنًى في الحفظ غير المعنى المذكور في قول الله -عز وجل: {لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ} [الرعد: 11]، وقوله: {وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ * النَّجْمُ الثَّاقِبُ * إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ (4)} [الطارق 1-4].

فالحفظ هنا في سورة الطارق، وفي سورة الرعد هو أن تحفظ الملائكةُ الإنسانَ من وقوع المكروه،- أو وقع ما لم يُقدَّر عليه.

أمَّا هنا فالمقصود بها حفظ الكتابة، فكل ما تقوم به من عمل، ما تلفظ به من قول فهو مدوَّن ومسجَّل ومثبَت، تثبته هؤلاء الملائكة ولا يتركون منه شيئًا.

كما قال الله -عز وجل: مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ} [ق: 18].

قال هنا: {وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ}، الدليل على أن "الحافظين" بهذا المعنى قوله: {كِرَامًا كَاتِبِينَ}.

كرامًا: يعني ذو منزلة عالية رفيعة عند الله، والكريم من كل شيء هو أعلاه في جنسه.

ولذلك يُقال: أحجار كريمة، ومخلوق كريم، وكتاب كريم، يعني هو أعلى ما يكون في جنس ذلك الشيء.

قال: {كِرَامًا كَاتِبِينَ}، يكتبون أعمال الإنسان، لا يدعون منها شيئًا.

قال الله -عز وجل: {يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ}، فكل ما يفعله الإنسان ويقوم به تعلمه هذه الملائكة وتدوِّنه، لا تترك منه شيئًا.

ثم بيَّن الله بعد ذلك الجزاء والحساب.

وصلنا إلى قول الله -عز وجل: {كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ}، "كلا" **ردع وزجر**.

وقد قلنا مرارًا أن "كلا" يمكن أن تأتي بمعنى حقًا.----------ويمكن أن تأتي بمعنى الردع والزجر، ويُحدد ذلك السياق، فإن كان ما قبلها شيء يُراد إنكاره؛ فإنها للردع والزجر، كما في هذا المقام.

وإن كان ما قبلها ليس شيئًا يُراد إنكاره كما في سورة اقرأ في قول الله -عز وجل: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} [العلق 1- 5]، **قال الله بعدها ماذا؟** {كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى} [العلق:6]،

فليس قبلها كلام يُراد إنكاره، ولذلك في معناها:حقًا، فيكون معنها في هذه الآية:حقًا إن الإنسان ليطغى.

ويكون معناها في الآية التي معنا: الردع والزجر لهؤلاء الذي اغترُّوا بما هم فيه من النعمة، وكذَّبوا بيوم الدين، ولم ستعدوا للقاء ربِّ العالمين، قال الله لهم {تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ (9) وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (10) كِرَامًا كَاتِبِينَ (11) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (12)}.

بيَّنَّا فيما تقدَّم أن الله -عز وجل- يبيِّن لهؤلاء كيف تتركون هملًا والله قد جعل كرامًا من الملائكة يكتبون عليكم، اويكتبون كل شيء من أعمالكم ويحصونه بكل دقة؟!

قا الله -عز وجل: {يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ}،---- أي ما تفعلونه من خير أو شر فإنهم يعلمونه فيكتبون،وقد بيَّنَّا قبل قليل أن الحفظ في هذه الآيةأو في هذه السورة المقصود به حفظ الأعمال وتدوينها، وليس هو المقصود بقول الله -عز وجل- في سورة الطارق

1--*****{وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ * النَّجْمُ الثَّاقِبُ * إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ (4)} [الطارق 1-4].

2--*****. 2وكذلك في سورة الرعد: {لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ} [الرعد: 11].

قال الله -عز وجل: {إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (13) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (14)}، بعدما ذكر هذا العتاب وبيَّن أن كل عمل ابن آدم محسوب؛ انتقل إلى الجزاء فقال: {إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ}، وجاء به مؤكَّدًا مرتين أو ثلاثة:

1--المؤكِّد الأول: "إنَّ".

2---والثاني: "الفي".

3---والثالث: أن الجملة اسمية، وهذا من المؤكدات.-------- لماذا؟ لأنه يُخاطب قومًا منكرين،

والعادة في كلام العرب أنه إذا خوطب المنكِر يؤكَّد الكلام له بأكثر من مؤكد بحسب إنكاره،----

وإذا كان خاليَ الذهن---- فإن الكلام يؤكَّد له، يعني لو قلت لإنسان كلامًا وهو خاليَ الذهن ولا تتوقع إنكاره؛ فإنك لا تحتاج إلى أن تحلف له، ولا أن تؤكِّد كلامك بمؤكدات عدَّة.

قال: {إِنَّ الْأَبْرَارَ}، **والأبرار: جمع برّ**،

والبر هو المتوسع في فعل الطاعات، ---يُقال لمادة "بَرَّ" في اللغة العربية تدل على السعة.

فلما كان البر متوسعًا في فعل الطاعة،--- يتصدق،--- يصوم، يحج، ---يذكر الله، يقرأ القرآن، يقوم الليل، يبر الوالدين،--- يصل الرحم، يحسن إلى الخلق، يُكرم الضيف، -------إلى آخر أعمال البر

، **يسعى فيها ويُنوِّع بينها سُمِّيَ برًّا، وجمعه: أبرار. جعلني الله وإياكم ------منهم**.

قال: {فِي نَعِيمٍ}، نعيم، المقصود به بالدرجة الولى: نعيم الآخرة، لأن الحديث عن الآخرة،ولكن ذلك لا يمنع أن ياخذ الإنسان من النعيم بقدره في دنياه وفي قبره، لأن النعيمهنا جاء مطلقًا غير مقيد.

ما قال: "لفي نعيم في الجنة أو في الآخرة"،--------

فدلَّ ذلك----- **على أن البر يُدرك من النعيم في الدنيا، وفي قبره، وفي الآخرة، كل واحدة من هذه الدور الثلاثة بحسبها، وهذا ما أثبته ابن القيم -رحمه الله- في تعليقه على هذه الآية، لأنها جاءت مطلقة**.

وهذا يلاحظه الأبرار-----، فإنهم يُدركون من لذة الطاعة والإيمان وعمل البر وفعل الخير ما تنشرح به صدورهم، وتأنس به نفوسهم، ويدركون به لذّة عظيمة من لذائذ الحياة----------حتى إنه يقول بعضهم: إنه لتمرُّ بي ساعات أقول فيها: إن كان أهل الجنة في مثل ما أنا فيه إنهم لفي نعيم طيب.

وهذا من جزاء المؤمن المُعجَّل، يُعجِّل الله له أثر برِّه وطاعته---.

ونحن نقول لكل إنسان يجد ضيقًا، وكدرًا في نفسه، وهموم وأحزان؛-- اعلم أن هذا بسبب تقصيرك في حق الله، فالله -سبحانه وتعالى- شكور---، ومن كونه شكورًا أنه يُعجل لعبده بالثواب وإن لم يكن هو الثواب الأعظم الذي يُدَّخر للعبد يوم القيامة.---قال الله -عز وجل: {إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (13) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (14)}، الفجار:

هم الذين فجروا من جهتين:

1--- من جهة فجور القلب بالتكذيب.

2--- وفجور الجوارح بالمعاصي.

أي خرجوا عن الطاعة، قال: {فِي جَحِيمٍ (14) يَصْلَوْنَهَا}، أي يصلون تلك الجحيم يوم الدين--، **أي يوم الجزاء والحساب**.

والدين يأتي بمعى الجزاء والحساب، كما تقول العرب:كما تدين تدان.

وكما في الأثر: **"الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز مَن أتبع نفسه هواها وتمنَّى على الله الأماني".**

قال: {وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ}، عن ماذا؟ أي عن الجحيم.-{بِغَائِبِينَ}، أي مخلدون فيها لا يخرجون منها، فالمقصود بها ذكر خلودهم وبقائهم في النار -نسأل الله العافية والسلامة.

ثم عظَّم الله يوم الدين في قوله -بهذا الأسلوب الذي سيتكرر معنا كثيرًا في جزء عم: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ}، إنه يوم عظيم، يوم مهول، استعدوا له، وانتبهوا له، واستيقظوا لعظمته، وكونوا على حذر منه، وخذوا الأهبة التامة لهوله، فإنه فوق ما تتخيلون، وأعظم مما تصورون.---قال: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (17) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (18)}، **هذا من باب التاكيد على هول ذلك اليوم**.ثم اجاب بهذا الجوا الفخيم، الرهيب، االمهول، الساكن،--- الذي يملأ النفس عظمة وهيبة: {يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا}، ليس هناك

نفس تملك لنفس مهما كانت تملك لنفس مهما كانت شيئًا، إلا أن يأذن الله بشيء من ذلك ويرضاه، فلا أحد في ذلك اليوم يتصرف أو يقدم خيرًا، أو يدفع ضرًّا، أو ينصر أحدًا؛ إلا أن يأذن الله به.

ثم ختم الله هذه السورة بقوله: {وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ}، الأمر كله لله، لا لملك مقرَّب، ولا لنبي مرسل، حتى إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذا طُلبت منه الشفاعة يذهب ويسجد عند العرش، ويحمد الله بمحامد لم يفتح عليه بمثلها من قبل، ويُكثر من الحمد لله -عز وجل- حتى يُقال له: **"ارفع رأسك، وسل تعطى، واسمه تُجب"، أو كما قال الحديث.**

وبهذا تكون هذه السورة العظيمة المهيبة قد أثَّرت في نفوسنا أننا نستعد للقاء الله -عز وجل- ونستعد لذلك الوم بالعمل الصالح، فنكون من الأبرار الذي توسَّعوا في فعل البر، وصار لهم النعيم المقيم،

ونحذر أن نكون من الفجار الذي لم يستعدوا لذلك اليوم،ولم يتأهبوا له بالزاد الذي ينبغي أن يُتزوَّد لمثله-أسال الله أن يعينن وإياكم على ذلك.

ننتقل بعد ذلك إلى سورة المطففين، ونتحدَّث عن علوم السورة.

سورة المطففين تسمى عند العلماء: سورة المطففين، سمَّاها البخاري في صحيحه: سورة {وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ}، وهذا تسمية بأول آية من آيات السورة.

وبعض المفسرين وسمَّاها: سورة التطفيف. -------ولا يُعرف لها غير هذا من الأسماء، فكلها تدور حول هذا الاسم -المطففين.

هذه السورة اختُلف فيها، هل هي مكيَّة أو مدنية؟ على ثلاثة أقوال:

1--- من العلماء من قال: إنها مكية،--- نزلت في آخر العهد المكي، وذلك لأن جوها وحديثها يتحدث عن موضوعات يوم القيامة، وتُكر فيه قول الله -عز وجل: {إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ}، وهذا إنما قيل للنبي -صلى الله عليه وسلم- في مكة.

وأيضا جاء فيها قول الله: {إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (29) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (30)}،

فهذه آيات تتحدث عن مشاهد كانت تقع لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- في مكة.

-2--- وآخرون من أهل العلم، ومنهم حبر الأمة وترجمان القرآن ابن عباس -رضي الله تعالى عنه وأرضاه- يرون: **أنها نزلت في مقدم رسول الله** -صلى الله عليه وسلم- إلى المدينة، وذلك بسبب...، فإن سبب النزول ورد في هذه السورة: أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لما جاء إلى **المدينة وجد أهلها من أخبث الناس كيلًا،** ----فأنزل الله هذه السورة لتعظهم وتحذرهم من مغبة ظلم العباد في هذا الشيء الطفيف الذي يؤخذ من حقوهم. وهذا قال به جماعة من المفسرين، وعليه كثير منهم، الجمهور والمفسرين على أن السور مدنية.-----**وابن عباس يرى أن السورة مدنية إلا الآيات الأخيرة في قوله:**

{إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (29) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (30)}، إلى آخر السورة.

3--- وآخرون من أهل العلم يرون أن السورة نزلت في مهاجر النبي -صلى الله عليه وسلم- **بين مكة والمدينة،**

وإلى هذا مالَ الطاهر بن عاشور في تفسيره المعروف "التحرير والتنوير". قال: وهذا يعني هو اللائق بهذه السورة، فإن جوها جو السور المكية----، ومضمونها مضمون السور المكية،وسبب نزولها يدل على أن لها ارتباطًا بالمدينة، فلعلها نزلت قبل أن يصل النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى المدينة، لأن أهل المدينة كانوا متلبسين لهذا الأمر -وهو التطفيف في المكاييل والموازين- فأراد الله أن يطهر المدينة من عمل سيء لا يليق بمجيء رسول الله -صلى الله عليه وسلم.

وعلى كلٍّ: الخطب في هذا يسير،----- لأن كونها مكيَّة أو مدنيَّة لا يترتب عليه نسخ، لأنه ليس في الآيات ما يُنسخ، وكل ما في الآيات محكم -ولله الحمد والمنَّة- ولكن من باب زيادة العلم، هل هل مكية أو مدنية؟ -

وليس هناك مانع من أن تكون هذه السورة نزلت في أواخر العهد المكي، وأوائل العهد المدني، وجُمعت بعد ذلك.

والعجيب أني وجدت عدد من السور تجد أن فيها نَفَس السور المكيَّة والسورة المدينة كسورة الحج،---- وسورة الحديد، وسورة المطففين، تجد أن فيها شيئًا من هذا وهذا، والعلم عند الله.

هذه السورة مناسبة لسورة الانفطار، لن سورة الافطار جاء فيها الحديث عن الأبرار والفجار مقتضبًا {إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ} [الانفطار 13، 14]، وهذه السورة أسهب في جزاء الأبرار، وفي جزاء الفجار، وذكر ذلك بشيء مطوَّل -كما سنأتي إليه إن شاء الله في الدرس القادم.-----وبهذا تكون هذه السورة مناسبة تمامصا لسورة الانفطار.

ففي سورة التكوير مشاهد القيامة،----------وفي سورة الانفطار مشاهد القيامة بشكل مختصر،

وذكر للجزاء بشكل أيضًا مختصر، كأنها مقدمة لذكر الجزاء، وفي سورة المطففين بدأ بذنب وبيَّن جزاءه، ثم انتقل إلى جزاء الفجار وجزاء الأبرار بشكل مفصَّل، وهذا من دقائق الترتيب والتنظيم في سور القرآن العظيم.---هذه السورة -يا إخواني- افتُتِحَت بقوله

{وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ (1) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (2)}، {ويل}،

ما هو ويل؟ تفضل {كلمة هلاك ووعيد، وقيل وادٍ في جهنم}---------.وقيل وادٍ في جهنم، إذن قولان للمفسرين:

- منهم مَن قال أنه وادٍ في جهنم، وهذا يستند إلى آثار، -----وهذه الآثار في النفس منها شيء، لكن الأشهر في استعمالها عند العرب أنه كما ذكر الأخ رياض: كلمة تهديد ووعيد، يُقال: ويلٌ لك، وويلٌ لفلان، وويلٌ لهؤلاء القوم، يُقصد بها التهديد والوعيد لهم من شرٍّ يحيق بهم ويلحقهم.

قال: {وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ}، وأنا أرى أن بقاءها تهديدًا مفتوحًا أكثر هيبة في النفوس من أن يكون تهديدًا بشيء معيَّن. لماذا؟ لأن المُهدِّد هنا مَن هو؟ هو الله -سبحانه وتعالى-، وكون النفس لا تدري بما هُدِّدَت به، وما هو الجزاء الذي ينتظرها؛ قد يكون أبلغ في ردع النفس عن التمادي في باطلها الذي تتهاون فيه.---فالله يقول: {وَيْلٌ} لمَن يا رب؟ للمطففين.

المطففون: **مأخوذ من التطفيف، والتطفيف هو أخذ الشيء الطفيف،**----- يعني أخذ الشيء القليل، وذلك عندما يكيل الإنسان أو يزن شيئًا فإنه ينقص شيئًا يسيرًا إذا كان يبيع للناس، وإذا كان يشتري لنفسه فإنه لا يأخذ الحق الواجبله؛ وإنما يزيد عليه شيئًا طفيفًا، فهو يظلم هنا وهنا، يظلم عندما يشتري، ويظلم عندما يبيع.-----قال الله -عز وجل: {وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ}. مَن هم المطففون؟----- فسَّرهم وبيَّنهم، وبيَّن أن المقصود به أولئك الذي يتهاونون في هذا الشيء الطفيف في المكاييل والموازين عندما يبيعون أو يشترون.--قال: {الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ}، **اكتالوا على الناس: يأخذون حقهم وافيًا، ويزيدون عليه.**

{وَإِذَا كَالُوهُمْ}، أي كالوا للناس، {أَوْ وَّزَنُوهُمْ}، أي وزنوا للناس، {يُخْسِرُونَ} أي ينقصون.

فهم عند الشراء يأخذون حقهم وافيًا وقد يزيدون، ---وعند البيع ينقصون من حق المشترين فلا يؤدونهم الحق الكامل.

قال: {وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ}، وهل معنى قوله {كَالُوهُمْ} و{وَّزَنُوهُمْ} أي كالوا هم، وزنوا هم، **فـ "هم" تأكيد لواو الجماعة؟**

1---**المعنى الاول أن المعنى** "كالوا هم" أي كالوا لهم، "هم" هنا ضمير منصوب، الواو واو الجماعة في محل رفع فاعل، و"هم" ضمير منصوب، يعني في محل مفعول به، أي كالواللناس وزنوا للناس **هذا قولان لأهل العلم، قال فيهما ابن كثير: "وكلاهما متقارب".**

2---**والظاهر هو الثاني**:-- وإذا كالوا للناس، أو وزنوا للناس، و"هم" هنا ضمير منصوب، أو في محل نصب. لماذا؟ لأنها لما كُتِبَت كُتِبَ بهذا الشكل: **"كالوهم". طيب.. ماذا يعني هذا؟**

"هم" هنا ليست ضميرًا مؤكدًا، **"كالوا هم" لا، "كالوهم" كالوا--- للناس**، ---لو كان ضميرًا مؤكدًا لكانت منفصلة عن الكلمة، ولكتبت في القرآن بهذا الشكل **"كالوا--- هم"، فتصبح هنا "هم" مؤكدة لقوله**

{كالوا}. واضح؟----------إذن: هذا مما نستدل به، أو مما نستعين به في الرسم لمعرفة القول الصحيح، فالرسم هنا -رسم المصحف- بيَّن لنا القول الصحيح في هذه الآية، وهو: **أن "هم"** ضمير منصوب، كالوا للناس،--- "كالوهم" أي كالوا للناس.

.. يأتي السؤال هنا: **{كَالُوهُمْ أَوْ وَّزَنُوهُمْ}، ما الفرق بين الكيل والوزن؟**

نعم.--{المراد بالكيل طبعًا هو قياس الحجم، بينما المراد بالوزن هو قياس الثقل}.

المرا د بالكيل:---- قياس الحجم. جميل.

والمراد بالوزن: ----قياس ماذا؟ الثّقل.

وبهذا مثلًا: اللتر مكيال أو ميزان؟ -----{ميزان}.

لا، اللتر مكيال، لأنه يوضع فيه اللبن،----- والعسل، والرصاص، والماء، وميزانه مختلف. بخلاف مثلًا الميزان الذي يظهر له علامات، أو الذي فيه هذه المثاقيل المعروفة، هذا ميزان. أو ميزان الذهب والفضة، هذا ميزان-الكيس وهو ما نسميه نحن بـ "القطمة"، أو "الخيشة"، هذه ما هي؟ هل هي مكيال أو ميزان؟ مكيال.---كرتون البرتقال أو الموز، هل مكيال أو ميزان؟ مكيال.

إذن ما يراد به معرفة الحجم مكيال، وما يُراد به مقياس الثقل ميزان.

ولذلك النبي -صلى الله عليه وسلم- بيَّن أن المكيال مكيال أهل المدينةو لنهم أهل زروع. وأن الميزان ميزان أهل مكة، لأنهم أهل تجارة، وذهب، وفضة.

قال الله -عز وجل: {وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ}، أي يُنقصون، ولما كان هذا الأمر معلوم أنه أمر سيء وخبيث، وأن العقول السليمة والفِطَر السليمة تنكره **لم يتحدَّث عن تحريمه؛---- وإنما تحدَّث مباشرة عن جزائه،----- ولم يتحدَّث عن الدلائل على وجه كونه محرَّمًا، لأن هذا الأمر تعرفه النفوس كلها أنه من الباطل،---- فانت لا ترضى -ولو لم تعلم الشرع-**

لا ترضى أني إذا كلتُ لك أو وزنتُ لك أنِّي أنقِصك في حقك، فكل النفوس تأبى ذلك وتراه من الظلم.-ولذلك جاء هنا إلى الموعظة مباشرة، وهذا ما ينبغي، عندما ترى صاحبك يعلم الحق ويعرفه، لا يحتاج أن تقول له: هذا من الحق، ودليله كذا، دليله كذا، ودليله كذا؛ لأن هذا مضيعة للوقت، إنما تبدأ بالموعظة التي تجعله ينساق للحق ويترك الباطل.--ولذل قال هنا: {أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ (4) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (5) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (6)}،

فوعظهم بالموقف الذي يكون بين يدي الله، وفيه توزن العمال،---- وفيه يخاف الإنسان،--- وفيه يرجع الإنسان إلى ما قدَّم ويتأكد مما عمل.

لعلنا نقف عند هذا الحد، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته